لقد شقيت شقاء الانقطاع لـــه ان لم افز فوزة تنجي من النـــار

والنار لم ينج من روعاتها احد الا المنيب بطلب المخلص الشاري

واما شعرهم الذي قالوه في رثاء اخوتهم الذين صرعوا في المعارك فيمثل من حيث معانيه صورة جديدة اذا ما قيس بمعاني الرثاء في الشعر العربي فهو يصور شعوراً حزيناً بالفقد غير اننا لانجد فيه بكاءً على الصفات التي يصور الشعراء فقدها برحيل المرثي من كرم ونجدة ومروءة وغيرها انما نجد فيه بكاءً على فقد صفات الفرد الخارجي من تقى وورع وزهد في الدنيا وعزوف عن لذات الحياة وانصراف كامل نحو الآخرة . من اجل ذلك كثيراً ما نرى من الشاعر منهم يتمنى ان ينال ما ناله من يرثيه من موت وشهادة يقول عمران بن حطان في رثاء مروان بن اوية :

ياعين بكي لمرداس ومصرعه يارب مرداس الحقني بمرداس

تركتني هائما ابكي لمرزئتـــي في مترل موحش من بعد ايناس

وقد دفعهم حرصهم على الموت وتمثيلهم له في كل حين الى اتخاذ نظرة نحو الحياة تدل على زهد فيها وعزوف عن كل رغبة من رغائبها فالعيش في نظرهم شقاء وعذاب لايستريح المرء منه الا باحتساب نفسه لربه وتهافته الملح على الموت ليحقق سعادته بفوز الجنة ولقد تسلطت عليهم هذه الافكار فلونت شعرهم بمعاني الزهد وجعلته يزخر بها وابرز شاعر لديهم في هذا الجانب هو عمر بن حطان اذ له قطع شعرية تفيض زهداً وانصرافاً عن الدنيا وما فيها من متع واستشعاراً للموت في كل لحظة من لحظات الحياة يقول في جملة له :

حتى ماتسقى النفوس بكأسها ريب المنون وكنت لاه ترتع

افقد رضيت بان تعلـــل بالمنـى والى المنية كـــل يوم ترتفـــع

ان اتجاههم نحو الزهد وعزوفهم المطلق عن الحياة وقد مثل جزءاً من عقيدتهم الممتزجة بسياستها في الحياة ومن ثم جعلتهم ينبذون السبل التي سلكها الشعراء الآخرون فهم يرفضون التكسب بالشعر والتداني الى عطايا الخلفاء والامراء وذوي الجاه والمال بل هم يهاجمون شعراء عصرهم الذين اتجهوا في حياتهم الشعرية الى هذا الاتجاه ومن ذلك ما قال عمران بن حطان للفرزدق وقد رآه ينشد للناس في المدح بمربد البصرة :

ايها المادح العباد ليعطي ان الله ما بايدي العبـــاد

فسأل الله ماطلبت اليهم وارج فضل المقسم العواد

خصائص شعر الخوارج :

١. وضوح الطابع الديني المذهبي : حيث تكثر المعاني الدينية العامة والمنبعثة من عقيدة الخوارج ومذهبهم في الكثرة الغالبة من اشعارهم وفي كل غرض اتجه اليه هذا الشعر غالبا والنماذج السالفة تبرز هذا الجانب الفني في شعرهم سواء في تمجيد طائفتهم والتعبير عن ايمانها الشديد بعقائدهم او الاشادة بابطالهم او رثاء قتلاهم .

٢. فصاحة العبارة وقوة الاسلوب : فاكثر الخوارج وعلى الاخص الشعراء منهم كانت تغلب عليهم البداوة والبدو كما تعلم هم ارباب اللغة ويمتازون بالفصاحة وذلاقة اللسان ومنهم كثرة المجيدين لفن الكلام . وقد احتفظ الخوارج بطبعهم البدوي المهذب لم تفسده تقاليد الحضارة فبقي صافيا نقيا فاذا اضيف الى ذلك صدق الشعور والاغتراف من بلاغة القرآن الذي ادمنوا قراءته وحفظه وتدبره واتخذوه منهجا لهم في القول والفعل ويقول عبيد الله بن زياد : (الكلام هؤلاء (ويعني الخوارج) اسرع الى قلوب الناس من النار الى اليراع) . ويقول عبد الملك بن مروان وكان بصيرا بفن القول:(لقد كاد يوقع في خاطري ان الجنة خلقت لهم).

٣. حرارة العاطفة وصدقها : شعرهم حار ملتهب متدفق يشع حرارة الايمان بالمذهب ونداء العقيدة والاستهانة بالحياة والاسراع الى الموت في ميدان الجهاد لان الغاية التي يصبون اليها ان يعلوا كلمة الله ويذودوا عن ما حرمه الله ويمكنوا للاسلام ثم كان من عوامل هذه الحرارة ان شعراؤهم كانوا من اساطين الدعاة الة مذهبهم وكان بعضهم من ارباب السيف فجاء شعرهم حارا قويا .

٤. خلوه من العصبية : ليس في شعرهم اثر للعصبية الجنسية او القبلية لان مذهبهم السياسي وحد بينهم وطبعهم بطابعه فهدفهم اسلامي خالص لا ايثار فيه للعربعلى غيرهم ولا تفضيل لقبيلة على اخرى . لهذا كان شعر بني تميم من مضر – والازد – من اليمن – يحاربون اخوانهم المناصرين لبني امية ويهجونهم وكان عمرو بن الحصين – الفارسي – عربيا خارجيا في شعره ولا اثر لجنسه في شعره ولا اثر لجنسه في مذهبه السياسي . واما شعراء الاحزاب الاخرى فلم يسلم شعرهم من عصبية جنسية او قبلية والترعة القرشية ظاهرة في شعر ابن قيس الرقيات وهو زبيري والترعة الفارسية واضحة في شعر ابن يسار وهو شيعي .

٥. وحدة الموضوع : الطابع العام لشعرهم الحماسة ووحدة الموضوع وهذا بعض ما يميزهم عن معاصريهم وبمقتضى هذا بعدوا بشعرهم عن الاطار التقليدي الذي كان يسير عليه الشعراء قبل عصرهم ومن معاصريهم في قصائدهم اذ ليس في حياتهم مجال لذلك الغزل التقليدي الذي يقع في مفتتح القصائد وليس في حياتهم ما يدعوا الى الوقوف على الاطلال او بكاء الديار او وصف الرحلة او حديث مفصل عن مآثر الاباء والاجداد والفخر بالاحساب والانساب والتغني بملاحم المجد والشرف التليد وضلوا يرفضون التفاخر بالنسب لان القرآن رفضه وهذا من ناحية

ومن ناحية اخرى اقتصار شعرهم في قالب على شكل المقطعات والقصائد القصيرة ومن ثم تحققت فيه الوحدة الفنية فالتجربة للشيء يعبر عنها الشاعر الخارجي في مقطعته واحدة والصور متشابهة حراسية ومن هنا تشابه شعرهم بعامة في موضوعاته واساليبه ومعانيه .ولعل هذا يفسر لنا كثرة الاضطراب في نسبة اشعار بعضهم الى بعض فما دامت شخصياتهم الشعرية ولا تتمايز كثيرا فما على الرواة من بأس ان نسبوا شعر احدهم الى الآخر .

٦. قلة شعر الخوارج : ثم ان شعرهم قليل تغلب فيه المقطعات لان الشعر عندهم تمارسه طائفة خاصة تنقطع لانتاجه او تكاد وتتنافس في تجديده والبراعة فيه بل كان تعبيرا عن المشاعر في احوال خاصة هذا الى ان حياتهم القائمة على الجهاد والحرب لم تفسح لهم من الوقت مايكفل الاكثار من القصائد واطالتها فهم من هذه الناحية اشبه بالصعاليك في العصر الجاهلي .

٧. تأثرهم بالقرآن الكريم : في شعرهم ملامح دالة على تفهمهم القرآن الكريم واستمدادهم منه كقول عيسى بن فاتل :

هم الفئة القليلة غير شك　　على الفئة الكثيرة ينصرونا

اشارة الى قوله تعالى : ((كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ)) . والامثلة على ذلك كثيرة .

٨. استشعار روح الحزن : فالقارئ في شعر الخوارج يحس بنغمة حزينة تلفأ هذا الشعر وتنبعث منه وبواعث هذه النغمة كثيرة في اشعارهم فهم قوم اهل حرب والزهد عندهم قرين الحرب وهو زهد كثيرا مادفعهم الى اقتحام اهوال الحروب طلبا للموت يسعى الواحد اليه سعيا وتضيق نفسه اذا طالت به ايام الحياة ولم يرزق الشهادة في وقعة من الوقائع .

عمران بن حطان

هو عمران بن حطان بن ظبيات الى ذهل بن ثعلبة من بكر بن وائل المكنى ابا سماك . نشأ في البصرة ورحل الى الحجاز حيث تلقى الحديث والفقه عن عائشة وابن عباس وابن عمر وابو موسى الاشعري ثم حدث وروى عنه بعض المحدثين لهذا تميزت حياته اول الامر بانه فقيه ومحدث ولايجنح الى حزب سياسي او فرقة دينية . وتروي المصادر انه تزوج من ابنة عم له تسمى جمرة كانت على مذهب الخوارج وحاول ان يردها عن مذهبها فاغوته وادخلته فيه وكان قبيحا ذميما . اعتنق عمران الصفوية ودعا الى القعود حتى عد رئيس قعدتهم والصفوية فرقة من الخوارج تجيد القعود عن الجهاد ميسورا ومدرس مذهبهم زياد بن الاصفر . ويقول الدكتور شوقي ضيف : (انما قعد به في اغلب الظن حبه لزوجته فقد كان يشغف بها شغفا شديدا) . ويقول ابو الفرج الاصفهاني : صار من القعدة لان

عمره طال وعجز عن الحرب وحضورها وكانه يرى انه اعتنق المذهب في سن عالية . على انه ان كان قعد فقد مضى في شعره يصدر كرهه للحياة وانها عبء ثقيل . عاش عمران اكثر حياته متشردا وطريدا وتعرض الى مطاردة الحكام لانه كان يقلقهم واكثر من طارده عبد الملك بن مروان والحجاج بن يوسف الثقفي وبقي يتنقل بين العراق والشام وعمان متخفيا حتى وفاته في الكوفة سنة (٨٤ هـ) . ولم يكن عمران شاعرا فقط بل كان خطيبا ايضا وقد عده الجاحظ من الشعراء الخطباء

****

خواص شعره :

من عجب ان هذا الرجل الخطيب الشاعر الذي اقلق الحجاج وعبد الملك لم يصل الينا من شعره الى قدر ضئيل . فهل كان مقلا ؟ هل شغلته الخطابة عن الشعر ؟ هل شغله الورع والزهد والفقه والحديث ؟ هل ضاع كثير من شعره ؟ ربما كان الامر راجعا الى بعض هذا او اليه كله . وربما كان الادنى من الصواب ان كثيرا من شعر الرجل ضاع او ضيع / **تعليل مهم** / لانه يمثل مذهب الجماعة والكثرة ولانه طعن في ائمة المسلمين وفي مقدمتهم علي (ع) وعثمان (رض) .

هذا الى ان السمة العامة لشعراء الخوارج الاقلال كما سبق في التعليل على شعرهم . اما شعره الباقي فيستم بعدة خواص :

١. يتسم بالصدق وتوخي الحقيقة ومبرأ من الكذب والبلاغة وقد عرفت زوجته صدقه حتى في شعره ولم تدرك ما يحتاجه الشعر من خيال قالت له يوما : زعمت انك لاتكذب في شعرك؟ فقال لها : او كان مني ذلك ؟ قالت نعم قلت :

فكذلك مجـــزاة بن ثـــــور كان اشجـــع من اسامـــة

ارايت رجلا اشجع من اسد؟ فقال لها : رأيت مجزاة بن ثور فتح مدينة ولم ارى اسدا يفتح بمدينة . ويروي ان الشعراء اجتمعوا عند عبد الملك بن مروان فقال لهم: ابقي احد اشعر منكم ؟ قالوا:لا فقال: الاخطل ، كذبوا يا امير المؤمنين قد بقي من هو اشعر منهم ، قال:من هو؟ قال: عمران بن حطان ، قال: وكيف صار اشعر منهم قال: لانه قال وهو صادق ففاقهم فكيف لو كذب كما كذبوا .

٢يتسم بانتقاء مفرداته في غير توعر واغراب وبجزالة عباراته في نسق لاتعقيد فيه ولا التواء ولا اعتساق وتقديم وتاخير .

٣. افكاره لينة لم يجهد في الغوص وراءها وليست في حاجة الى تروي القارئ في ادساكها .

٤. خياله نزر لانه كان يؤثر التعبير بالحقيقة على التوسط بالخيال وربما كان مرجع هذا الى قناعته بصدق شعوره او الى توخيه البعد عما قد يجره الى الخيال من

تهويل وتضخيم .ولكي نتعرف على خصائص عمران الشعرية علينا ان نقرأ اشعاره التي وصلت الينا واليك هذه الابيات من القصيدة التي قالها يخاطب بها صديقه (روح بن زنباع) لما دعاه لمقاتلة عبد الملك بن مروان فارتحل وترك له هذه الابيات :

ياروحُ كم من اخي مثوى نزلت به ... قد ظن ظنكَ من لخمٍ وغسان

حتى اذا خفتهُ فارقتَ مرتلـه ... من بعد ماقيل عمران بن حطان

فهذه الابيات من حيث الفرض عبرة وارشاد لجار او صديق هو (روح) فيها وعظ وارشاد فهي اقرب الى الشعر التعليمي ولكن فيها بعض الحسرات والآهات عندما يتحسر على العهد الذي مضى والذي قضاه مع (روح) لايخاف ولايخشا انسا ولا جانا ثم يطلب الرضا من الصديق عن حال لايرضاه هو لنفسه ولكن الظروف اضطرته اليها حاله هو يوما من اليمن (يماني) ويوما (معدي) اي حال التنقل والتقلب والتذبذب والنفاق .فعمران عندما يقول :

فأعذر اخاك ابن زنباع فإن له ... في الحادث صفات ذات الوان

يوما يمان اذا لاقيت ذا يمن ... وإن لقيت معديا فعدناني

انما يتهجم على النفاق السياسي فعمران ليس منافقا ولامذبذبا ومن هنا اظهر هذه المشاعر لانه صاحب عقيدة لاتزعزع . وهو في ثنائه على ابن زنباع لم يبح لنفسه ان يستغفر له لانه ليس في رأيه ممن يستحقون المغفرة فهو طاغية وكافر على طريقة اكثر الخوارج في تكفير مخالفيهم . وفي هذه الابيات اشارة واضحة الى ايمان عمران بالقرآن الكريم دلت عليه كلمة طه وكلمة عمران وقصد بهما سورتي طه وآل عمران فهذه المقطوعة فيها فكرة نبيلة تعتمد على تعاليم الدين وفيها صدق وصراحة وجرأة هو صدق وصراحة وجرأة عمران الخارجي وفيها ايضا سمة عربية فالفاظها بدوية فصيحة ذات تراكيب سليمة . اهميتها تكمن في اهميتها التاريخية السياسية اكثر من اهميتها الذوقية والفنية .

****